هل تغيَّرت أخلاق المصريين

الأخلاق عبارة عن قيم ومبادئ تتحلى بها الشعوب، ولذا على الجميع أن يعي أنه لا قوة عسكرية، ولا قوة مالية تقدر على النهوض بمجتمع دون أخلاق... وخصوصًا أننا أصبحنا نعيش في دولة تعاني من إمساك أخلاقي وإسهال همجي.

كان أمير الشعراء أحمد شوقى ينبه المصريين إلى ضرورة تحلي الشعوب بالأخلاق للحفاظِ على أمنِها ورقيها وسلامتها:

إِنّمَا الأُمَمُ الآخْلاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمْ ذَهَبُوا

إن أخلاق الشعوب هي العاصم لها من الانهيار والتفتت والتشتت إلى أشلاء لا يجمعها شيء، والشعب الذي تنهار فيه الأخلاق والقيم ينهار فيه المجتمع والأسرة؛ اللذان هما قوام أي شعب.

وما دفعني للكتابة في هذا الموضوع؛ ما أصبحنا نعيشه من مآسٍ نراها يوميًا من سباب وشتائم تنهال من البعض على البعض الآخر لمجرد الاختلاف في الرأي الذي يحتمل الخطأ والصواب.

▪ لماذا تجرَّد الشعب من الأخلاق؟

أصبحنا يوميًا نرى كم تجرَّد هذا الشعب من أخلاقه سواءً في الشارع العام: من فوضى، وتعامل بغوغائية، وكأننا نعيش في غابة، وليس دولة من كم السباب والكلام الساقط الذي نسمعه، هل هذا نتيجة قمع كان يعيشه البعض وخلع الآن جلباب الخوف؟.. أم هذا أسلوب متوارث عند البعض، نتيجة الجهل والظروف البيئية التي يعيش فيها، لكن لم نكن نعلم عنه شيئًا بهذه الصورة التي نشهدها حاليًا في ظلِّ الظروف المظلمة التي تمر بها البلاد.

هل يعقل لدولة بحجم مصر أن تعيش مثل هذا الفساد الأخلاقي الذي أصبح يسيطر على جميع فئاتها من إعلام مرئى ومسموع ومقروء، أصبح بمثابة مرض خبيث يتسلل للجميع، حتى في بعض المؤسسات أصبحنا نعاني من عدم وجود أخلاق مما نراه من معاملة سيئة دون استخدامِ أي ضمير أو عقيدة.

مع أن الأخلاق شكلٌ من أشكال الوعى الإنساني، كما أنها تعتبر مجموعة من القيم والمبادئ تحرِّك الأشخاص والشعوب، كالعدل والحرية والمساواة، بحيث ترتقي لأن تصبح مرجعية ثقافية لتلك الشعوب، لتكون سندًا قانونيًا تستقي منه الدولة الأنظمة والقوانين.

▪ الدين السند الأول للأخلاق :

كما يعتبر الدين بشكل عام سندًا للأخلاق وهي أيضًا دراسة خاصة في علم النفس الذي كان يقيِّم سلوكيات الإنسان على ضوء القواعد الأساسية التي تضع معايير للسلوك التي يتبعها الإنسان في حياته المهنية والاجتماعية.

لكن ما نراه الآن يصيبنا بالدهشة والحيرة، ويشعرنا بالأسى والحزن، هل يعقل أننا نطالب بتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية في ظل هذا الفساد الأخلاقي؟ من المتعارف عليه أننا نختلف في أشياء كثيرة، ولكن لا نستطيع أن نختلف على مبادئ الأخلاق في جميع تصرفاتنا وتعاملاتنا.

إذا أردنا أن نصعد بهذا البلد والخروج به مما هي فيه، فعلينا أولاً بالعلاج من مرض سوء الأخلاق، لأنك إذا بحثت في كل ما يحدث ستجد أن الأغلبية المدمرة لهذا البلد، بلا أخلاق أو مبادئ، فهم بمثابة مرضى القلوب الذين تجردوا من كل معاني الإنسانية والأخلاق، وهمهم هو تدمير هذا الوطن، وليس مهمًا عندهم ضياعه، ولا بد أن نعلم أنه عندما تضيع الأخلاق، يستطير الشر ويظهرُ الفساد في شتى مجالات الحياة السياسية والإعلامية والاقتصادية، وغيرها.

فهل يعقل أن نطلب من حاكم أو مسؤول أن يبنى لنا الأخلاق أيضًا؟!..

إذن العيب هنا فينا وليس في حاكم أو مسؤول... يجب علينا أن نصلح من أنفسنا أولاً قبل أن نلقي باللوم على غيرنا، لأن الأخلاق لا تباع ولا تشترى، لأنها طبيعة بشرية، على الشخص أن يعيها في جميع تصرفاته... وإذا عُرف الداء عُرف الدواء.

obeikan.com